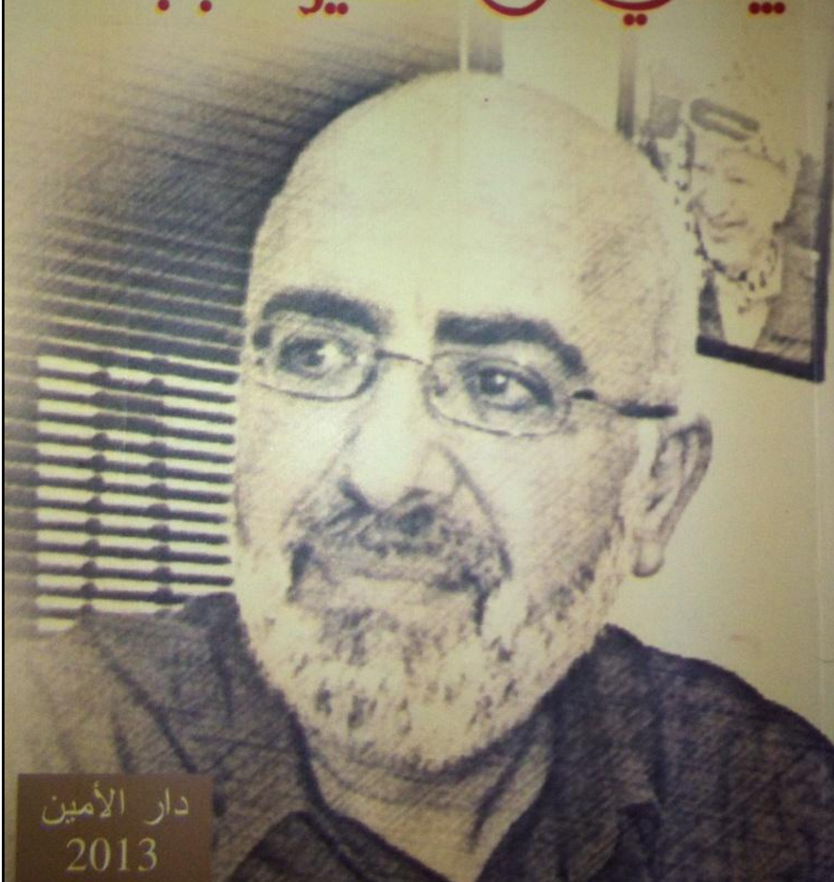
نصوص

بكر أبو بكر

بيدي أن أصير دَبَّابة !



دار الأمين

2013

بيدي أن أصير دبابة

تأليف: بكر أبوبكر

الطبعة الأولى،2013

فلسطين - رام الله

دار الأمين للطباعة والنشر

سجل النصوص

- آلام القاهرة
- الليل وأغنيات السماء
- اليراعة وزهرة روحي
- إهانة
- أوارها والقمر
- بلقياكم سعدت
- بيدي أن أصير دبابة
- تأكل آخر حبة تين
- تعاندني الأنفاس
- تفاح الكواعب وبريد شفتيك
- تونس الهمس الساري
- جسر أنا
- حزني أجمل
- حيث تنتظر الخيول
- حين ترسو البلابل
- خمرة الصوفي الحصيف
- رام الله ارتفاع الموج

- ساعتي تزف
- سجادة
- سيف مشهر
- شجرة تشكو
- شفيع التائبين
- شهيق الأرض وزفيرها
- صلاة وطبول
- طاقتي والكلب
- عاجلتني بالتحية
- عشب أصفر وحصيد
- فتاة الكمنجة
- قلبي فصول أربعة
- كبرياؤه وانزعاجاته
- لا تدخل الشمس سجني
- لحن المسير
- لذاذة ثمر
- لن أقبل أبدا غيرك ... فلسطين
- مازلت أمشي

- **محظوظ اذ ينال**
- **من أنت إن لم تغضب؟**
- **من نفَس الثوار قادمون**
- **نادي المهج**
- **نبيل يلتقطُ النجمات**
- **نحر الزمن**
- **هاني خميرة الكلام**
- **هناك**
- **هي حبيبتي وكفى**
- **وجلست أشربكم بروية**
- **وحشرتكم شهداء**

نصوص خضراء كوجع قديم

مراد السوداني*

هذه نصوص محمولة على وجع الطريق.. الطريق الطويل .. الطويل الذي خطاه الكاتب المحارب، هنا للكتابة طعم الحريق وصهيل الشجر الذبيح على التلال العاليات وشهقة الماء المعاند.. كتابة شعرية بقدر ما في البلاد من فيض الجماليات ونداءات المواسم والحرث وغناء الرعاة على أكتاف الوديان وبقدر ما في البلاد من البطولة وأسطورة المواجهة التي تتجدد كلما ناحت يمامة وزغردت أم شهيد وعلت تراويد جداتنا في ليالي الشتاء والبرد..

نصوص تحتشد بالمواويل الذابحة وبلاغة العشب الذي

يشق الجفاف واليباس ليعلن الفرح واندلاع الخضرة الطافحة كشمس مهيمنة...

نصوص بها لين المواجيد ودمع العاشق النواح وصلابة المحارب المقتحم لأهوال الدرب وظلمته... نصوص واضحة كمرآة الماء وجرأة الصغار وهم يرفعون شارة النصر الفتي على حواجز المواجهة والفداء..

تتوزع النصوص بين الخاص والعام في جدل لافح .. يصير الكاتب نرجسة تفيض غناء بحجم البلاد واتساع الفرح، وتارة يصير دبابة تعلن اقتدار عوج بن عناق الفلسطيني الذي يصر على الحياة ويقترح أسبابها على الرغم من المحل والجفاف والحزن والاغتراب ؛ نلمس حميمية دافئة كرقة أنثى الطير ، ساخنة كنصل الجرح ..

إذ هي تفاصيل التجربة التي عبرها الكاتب بكامل وجعها وخسرانها وانتصارها على مخالب الانكسار والتردي والسقوط ... يعلو المكان بطاقته الاستثنائية وأزاهيره

المتوهجة حنوناً وخرفيشاً وزيتاً ساطعاً وتيناً على مساطيح التعب، وقمح الخوابي السماوي وحصيد الحرث والزرع .

" بيدي أن أصير دبابة " انفتاح النية على الفعل إذ تصير النية فعلا ناجزاً في تحول الإمكان إلى حقيقة نلمس تفاصيلها ونشم عبقها الغامر..

المحارب المستند إلى إرادة جامحة وتماسك فذ يؤكد فضاء الحرية الذي يفتحه الكاتب الحر والواثق باقتراب الضوء وهاجا كحقيقة البلاد وحقها الأكيد .. المحارب يواصل الطريق ويكتب مشاهدات الرحلة، منتصرا للجميل والحي فيها، منازلا القبيح والمظلم والمنكسر والمتخاذل والعاجز .. إنها رؤيا عارفة تأخذ من ابن عربي وذي النون المصري والمتصوفة الأفذاذ ما يجعلها تؤسس لاكتشاف الفاعلية في الروح ووقْد الكلام الجسور..

والنصوص مفتوحة كذلك على الأنثى التي تجاور المحارب

فيأخذ منها ما يجعله يواصل المشوار .. فهي الشهيدة والأم وغزالة البر والبرق العاشقة التي يتأملها الكاتب أرضاً وفيرة وعطاء عاليا.. الأنثى التي تسند الروح وتهدهد الوجع المتوحش .. الأنثى القريبة كنفسٍ حي، والبعيدة كحنين صعب.

نقرأ:

" أذوب خلف حائط القمر وسجدات النهار
وأذوب انتظاراً لإذن البحر أن يضيء السراج
وأشق قرط الحمامة وإسورة الغزال
وأرتجي من صائدات النجوم وصالا
وأحب أيام الحصيد وارتياح النبع
وأغرم في اللفتات واللمسات وفوّاح الكلام " .

احتفالية باذخة وتدلّه ندّاه وأنثى لها إيقاع البلاد في اكتمال الفرح والحلم والكلام العفي.

مدن عبرها الكاتب تركت وشمها الباقي ذكرى لا تزول ..

هل هو الحنين المعلق كتميمة في العنق؟ أم هو الوجع الذي صار حنينا مرّا؟!! القاهرة والقيروان وبغداد وبيرزيت ... الخ . كلها تعبر في محرق الوعي، لتخرج نصّاً حاراً حرارة الإبداع وهبْوه الصارخ...

النصوص التي تقرأها عزيزي القارئ / عزيزتي القارئة تستحق التوقف والإنتباه.. فهي إضمامة كلام يرجّ المدى ويستعيد لياقة البحر في النشيد الفلسطيني...

ها هو بكر أبو بكر يواصل الكتابة مؤكداً قدرته على اجتراح الجماليات وتخليق الفعل من مدى الإمكان والممكنات، ما زال الكلام مشتعلا كقنديلٍ هتّافٍ بالضوء، وما زال سياق البلاد عالياً كموج الحرية القادم بلا ريب.

وما زال المثقف في بلادنا يعلي قوس المنازلة.

***الأمين العام للاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.**

أذوب

أذوب خلف حائط القمر وسجدات النهار
وأذوب انتظارا لإذن البحر أن يضيء السراج
وأعشقُ قرطَ الحمامة وإسورة الغزال
وأرتجي من صائدات النجوم وصالا
وأحب أيام الحصيد، وارتياد النبع
وأغرم في اللفتات واللمسات وفوّاح الكلام
وأتدلّهُ في رحيق السجايا وإشارات المطر
وأظنني دنِف حين يرتجّ قلبي لسعْيِ الربيع
شِواظُ عقلي ينكسر حين تدمع العيون
ولِحاظُ شوقي تندمل حين تدور المُقَل

وثلوج كبدي تذوب عند تكوّر النهايات
وأظنني أُفتنُ حين تسيرين رَمَلا
أو حين تقصفين قلبي براجمات القُبَل
أو عندما ترفعين الراية اليمنى، وتبتسمين
وأذوب قصدا حين ارتجاف الشفتين
وارتجاج النجفتين، وهدير الإدبار
في اليوم الثابت صعدتُ المنبر
وتركت عصاي ومزّقت أوراقي
وجُلْت في وجوه الحاضرين، وتأملت
ولما لم أجدك حاضرة في قلوبهم توجعت
وأقمت الصلاة بلا خطبة
فالعيون فارغة
وفلسطين لم تكن يومها حاضرة
وكنت أذوب

احتفي بالعتمة فرحا

عرفناه يرتقي وما عرفناه يذبل
ورأيناه من على قمة الجبل يلوّح
وبيديه الملونتين يرفرف
وبعينيه الضحوكتين يهفهف
رأيناه يأكل العجة في الصباح
ويشرب الشاي الأخضر مساء
ويتجنب لحم الخروف والعجول
ويمضغ الأعشاب بتأنٍ شديد
عرفناه خفيفا في الحركة
دقيقا في عمله
صبورٌ كتوم ملغم بالآهات هو

يحبسُ أنفاسه لمرأى وردة
ويبكي لمسمع الزرزور يغني
يغني وينتحب طويلا
حين تنام الغيمات
بعيدا عن حضنه
ويعدو بلا هدف
حين تشهق الكواعب.
فيه رائحة التراب والغسق
وأسرار حضن أمه
والنوار
وهتاف العصافير وخرير الورد
والقطرات التي تشجيه
عرفناه يعود طفلا
يؤلف الأقاصيص الغريبة والسحر

رأيناه طويلاً حتى عانق القمر

وصغيراً حتى لاعب النملة النرد
وأبيض فلم نميزه عن الحليب
وأسود فاختفى بالعتمة فرِحا
تماهى مع الروح واللوح والبوح والمرويّات
وتباهى بالنغمات والرمال وغضب الأشجار
وأحب تراب بيته وأزهار حديقته
وزوايا الخلاص
عرفناه كريماً بلا حدود
وبارعاً في اقتناص الأمل
وقادراً على احتواء الترددات
وأصيلاً في بناء الصداقات
وجامعاً للمتناقضات والهوى
سلّمنا عليه عندما ركب الطائرة
وظننا أنه قد لا يلتفت
فأبقى قلبه متوّجاً بين أضلعي
وطار

ارتواءات

أغني للنخيل فيك
مشروع الأمل
ومدرسة المحبين
وأرتمي بين ذراعيك
ظمآن الفؤاد
شقي الضلوع
باسق الثمرات
وأسجد شكرا للرب
أن جمعني ولحظ عينيك
إذ

كلما طالت المسافة

بيننا

وجدتني أرحل

مع رغاء الرمال

وأنامل النوق

وقُبلات المساء

وارتكازات الرماح

وسياحة الصدور

وأسجّل نفسي في مكتب المفقودين

وأخطُّ رسالة توقٍ لك عبر الأثير

مبللةً بصقيع القلب

لربما تهدّئ القلب الأسير

أتوق للقْياك دوما

وأنت تجلسين هنا

تنظرين ما بين الجرعات

والارتواءات

وما تحت الجوانح

وتبتسمين

ما بين إغفاءة وإغماضة

تستلقين ناجزة العرين

فأذوب في عجائب لقياك

وبارد فجرك

واللهيب

أنت فجرالحق

هم كتيبة الإعدام
وأنت نور الحق
وقصيدة الثوار
وريحانة المظلومين
ومرجل النضال
أنت فجر الحق
وفئران البساتين هم
وأنت عزيمة الفلاحين
وتجار شعاع الشمس هم
ديدان الأرض

أكلة مال اليتيم
وزناة سرهم وعلانيتهم
حاولوا أن يشوهوك
أو يأكلوك
أويغووك
فارتد النصل لنحرهم
قاموا وقعدوا
ومالوا وصعدوا
وظنوا وتمنوا، ولكنهم خابوا
أرادوك أن تميل قليلا
ورغبوا أن تحيد قدرا ضئيلا
ولكن قميصك قُدَّ من دبر
وما استطاعوا فيك التغيير
قُساة طُغاة بُغاة هم
تكاد تسمع نخيرهم في كل مكان

ولعلك الآن تنظر لعيونهم التائهة
وهمساتهم الغادرة
وانحناءاتهم حد الهزل
فتنكشف أقفيتهم
وتبرز أسنانهم الصفراء
فيتشرنقون
ما أخالهم قتلوك
فأنت تركت لهم "الجمل بما حمل"
لتسمو
فتحتضن النور
كتيبة الفاسدين هم
لا يعيشون إلا في الظلام
يتنفسون روث الخفافيش
ويطربون للرذيلة
أراك تضحك في مرقدك الآن

وتنام ملء الجفون

وهم يتخطفهم المسّ

دعهم في غيهم يعمهون

ومن الله عليك السلام

أظن ذلك

عندما تصحين مبكرة
وتغسلين شعرك بالنهار
وتصبين فنجان القهوة السوداء
بروية وغرام
أظنك تبتسمين
وفي زيت الفطور والزعتر
ومرآة السحر الوديع
قد تجدينني لذيذاً
لا أحاسبك على عدد الخطوات
أو على رنين الهاتف المتكرر

ولا يزعجني عدد أوراق الميرمية
في كوب الشاي
فأنت دنياي والنسيم
أو أظن ذلك
رأيتك على النوم تنتفضين
وتسجلين كشف الحضور لدى القمر
وتنخرطين معه في أغنية مشتركة
على وقع النوال
كنت ترتّبين الغيمات
وترفعين يديك لتشيري
وترسمين حدوداً للفشل
وتنهضين
أم أظن ذلك
على خدود الفراشات
رسمتِ علم فلسطين

وفي باحة النرجس
صعَدت فيك حركة (فتح)
فهل كنت تنسجين رداء الحرية
أم في ولع الأرض تذوبين
أراكِ من خلف الأغصان تتأرجحين
أم تراك تدبكين
أم تتحزمين القضية واليقين
لأنك أزلية باقية خالدة
حيث لا تساورني الظنون
لا تبتعدي عني
وأدخليني في صف (العاصفة)
ومدرسة النرجس
فأنا أحب القهوة والفراشات وشعرك
فلا تلومينني

افرح، افرح بالليالي

افرح
بالنجوى والعناقيد
واللحم الحنيذ
افرح باللوز الطري
افرح بالغوالي
اسعد بالحنايا والكعك اللذيذ
في عيدك التالي افرح
افرح بالأكف المبسوطة والجديد
امرح ولا تبالي
وضمني في باحة عينيك

وافرح بشذى الأقراط

وانعطافة الكثبان في مئزريك

فأنتَ والألحان سُؤلي

وأنتَ والأشجان فيضي

وفيك والغوامض انشداهي

دعني أرجوك وأقول

انثر على أوراق الخريف دموعك

وسجّل شهادة حبي في كتاب المحن

وادع شفتاك تنفرجان عن اسمي

والتصق بصدري واحفظ عهودك

ناغي أوتار قلبي، والفنن

وامتزج بشهيقي، وانصب خيمتك

راقب جنوحك وميل جسدك

لا تبتعد عن أذني ومرايا الزمن

أقحوانة

أقحوانة ساهمة
مرفوعة الرأس
تفكر بالبعيد
وتحدّق في المسافات
وترسم الفضاء دوائر
وتقول جملة واحدة
لأنها تصغي أكثر
وسط بحر العواصف
وخَبَب الأمطار
وحين احمرار خدود الرعد

تجلسُ وحيدة
لا تجاورها أخوات
أو جارات
أو رموزاً سرية
أو حتى جندب أعمى
أقحوانة
في جرداء شتاء ماكر
تخيط من البرد دثارا
وتصنع من سنا البرق نصوعا
وترخي مرفقيها حزينة
فالفراشات نائمة
والصمت يصدح
وأحمد يلعب مع أصدقائه
فلمن تزهر هي؟!

الأحمق يغني

عندما تكلّمه يثور
وعندما تنصت له يسخط
وعندما تقاطعه يثور
وما أن تتركه حتى يصرخ
لن تستطيع منه فكاكا
أحمق، يريد خدمتك فيكسر رجلك
ويفترض أنه يفيدك فيخرب بيتك
أحمق يكلمك كالعارف ببواطن الأمور
فلا تجرؤ على مقاطعته
وإن فعلت تسربلت بالقطران

وهو يشدو ويغني فوق الأغصان
إن كلّمته لا يفهم، وإن فهم فهو يأثم
يفهم في كل شيء حتى في طفولتك
ويعلم كل شيء حتى في تخصيب الذرة
وفي أنواع الزعتر والشاي والقهوة المرة
لا يقف أمامه ناصر أو عرفات أو صاحب الدُرّة
ضليع في شؤون الفن والاقتصاد والسياسة
ويعلم في الطب والأرواح ومفهوم الرياسة
وفي حقيقته لا يفقه ذرة مما يقول
ولا لما إليه الأمور حقاً تؤول
أوتجرؤ على قول ذلك!
أم تستطيع أن لا تجاريه؟
أم تظن نفسك من مجلسه تستطيع الخروج؟
أنت في وضع حرج
أنت في موقف زلِج

تتكلم أو تقاطع أو تنصت أو تقوم... محال عليك

وما لك إلا أن تجاريه، وهل لك أن تعترض؟

لك أن تقطع شريان يديك، أو من حماقته تقترض

الأقمار السواكب

حلم يتجلّى كلما أشرق صباح
وغيمة تنحسر، ودنيا تقوم
عينٌ تشخص نحو البعيد
وفم محشور بالكلمات
وقلبٌ خافق بالخوف والحب
وعين لا ترى إلا ما سيأتي
وترى فيما انقضى مرتكزا
على ضفاف النيل أشكو حيرتي
وفي أرض الكنانة أرجو خلاصي
تمر عليك الركبان والأوراد تحمل نعوشها
وترقص فيَّ الأماني والمدامع

تنتحر الرغبات على عتبات الفضاء
وتتلاشى الأشياء في اللاشيء
وتنقبض القوادم في تابوت العهد القديم
وتنجرف النهايات إلى هوة الفراغ
وتتسربل المرسلات بالنرجس
وتشهق الشمس
فيضيع عقلي في الغياب

القمر المكلّل بالحجيج

أنت... فنان
تمتلك الحب بين يديك
وفي قلبك
وتفيض على الدنيا بنغمات
هنّ أجمل
من عجب الصبية بنفسها
وأعذب من رشف الزلال
وأرق من حرير خراسان
وأوقع أثراً من موعظة أرسطو
أو خطاب ملفوح الوجه

يا من لاحتكاك يديه بأوتار العود

هوى

ويا من لقلق كلماته

جوى

مثلك لا يضيق

ولا يتبرم

مهما أحاطت به الخطوب

أو تقاتلت حول رأسه النوازل

أحمد

القمر المكلل بالحجيج

والعنفوان الأزلي

مانح الحرية

لمن يريد الارتشاف

ومانع التعدي

على من تخفّى تحت ردائه

لا يقبل الهدْر

لا يقبل الهدر في الكلمات

ولا يقبل الهدر في التوازنات

ولا يقبل الهدر في المساومات

ولا يقبل بهدر الكرامة

لأن من يعش مرفوع الرأس

والأغنية والعود مثلك

لا يقبل تقبيل الأيادي

أو الجري وراء الأقزام

أحمد

عبق السنين

ومضاء الرعد

وجبين المحبين

وارتجاف القائمين في رحابة المحراب

عندما يتصل فلا انقطاع

إلاّكِ لا عشق

مالت إليها نفسي وهفت
وعلقت بها روحي، وسمت
كنسيم الصيف على صدرى غفت
وبين أغصان شوقي نامت وارتوت
****
في ساحات قلبي البرّي لعبت
ومن النوافذ الموشاة بالحرير عند المعبر
قلبي سَبَت
****
وعند اخضرار اللوز

ومع صرير أهداب مقلتيّ
وصعود النهار في حلقي
وارتفاع موج البحر في ردائي
ومع جريان الغزلان المرتوي
وعبور ماء النهر فراشة
مالت وصاحت وعبثت والى قلبي هفت

****

هي الأولى بلا نهاية
وهي الوَلَه على النجوى
وهي الوداد في عيد وليد
كتبت على قميصي عنوانا
وطارت بين العبرات منتشية
فلم أصمد وسقطت راكعاً
إلاك لاعشق ولا زهرُ

آلام القاهرة

عندما تغصّ في حلقي وأختنق
تقهقه عالياً
فهي سعيدة بإفساد يومي
وعندما يقف لي كلبٌ شرس
وسط الطريق
تكون قد استأجرته ليرهبني
وهي من يدفع لعامل النظافة
ليشيح بوجهه عني
تكاد لا تتوقف عن الزئير
إلا والطنين لا يغادر رأسي

شهرا

تظن أنها حينما تتقرفص

فالكون قد تقلص

وعلى الناس جميعا وأنا

أن نحني لها الرأس ولا (نتحرقص)

ترى الأشياء من خرم إبرة

فلا تعترف بالربيع وتكره الصيف

وترتديني شتاء بالقوة القاهرة

وتجلد ظهري حينما لا تكون كفّي

مفتوحة

تنشر الخراب والطاقة السلبية

كلما حوصرت أو تأزمت.

تحب من الألوان المظلم ومشتقاته

ولا تسعد أو تفرح أو تنبسط

إلا على سبيل التغيير

فالعبوس والطنين والأنين والشكاية

فيها طبع وسكين وحياة

إنها آلام ظهري المستقرة

التي لا تغادرني

بل وتنقضّ ليلاً ونهاراً

سراً وجهاراً

أأعيش معها غريباً وحيداً

طريداً

أم أعد سياطها اللاهبة

دون آهة واحدة

الليل وأغنيات السماء

ما عجبت لمخلوق كما عجبت للّيل
ينسلُ من ضياء الشمس
فيطغى
ويرتجفُ حين مرأى الفجر
فينزاح
قادر على التقدم بلا وجل
ومبتسم حين يتراجع
الليل
مسافات الحالم في يد القدر
وعين الطامحين في غد أحلى
ومحراب تعبد الأحبة والمتصوفة

الليل عندما يسفر
تقبّل يديه الأشجار
وترعى الغنمات في سهوب صدري
وتتأرجح الموجات على بحيرة قلبي
ويرتفع الرغاء بين القطعان
الليل
إذ يسرج خيوله وينطلق
يرسم شكل الأقمار ولمسات المحبين
ويرقب الأشعار وقصص الأطفال قبل النوم
ويداعب النجمات ويراقص الأمسيات
الليل
عندما يهبط فهو كانطباق القدر
يحمل بين كفيه نعماء المراشف والحرير
ويحمل نقماء الذكريات البارعات
تنسلُّ من القفص المكين
زفرات موجعات.

صديق للحزانى هو
وللعشاق ولعابري السبيل
الليل
واحة الأديب ودوحة الراهب وملجأ المظلوم
وضحكة الأنيس ولوعة الحبيس وسكن النمور
عندما ينام الليل تصحو الكائنات للدبيب
وتغتسل في حديقة النهار
وتودع أحمالاً وأحلاماً وأمنيات
وترجو الله خير المسعى والنمير
وعندما يصحو الليل تنام الكائنات بوداعة
إذ يرخي عباءته فتطمئن النفوس
وتضع الأرواح حملها بين يديه
ويرفع الفقير كفيه لله تضرعاً
وتندثر الفروقات فالكل له في خضوع
الليل
عناق الشمعات مع ورود الفضاء

وقيثارة ابن رشد إذ يطرق عازفا
وتسبيحات ابن عربي وغزلياته
وتأملات ذو النون المصري
وطريق الجنادب المستقيم
وعرس القلم ورجع أغنيات السماء
لا نحتسب الأيام إلا به
ولا نقبل على النهار إلا من بابه

اليراعة وزهرة روحي

ما كنت للبعيد رقيب
ولا كنت أرهق نفسي في رسم الجداول
أو صناعة الخوف
وكنت أنتمي لما أريد
فيتحقق زاهياً بشكل فريد.

وكف القدر كان يرافقني دوما
فالطريق منير وبهيج
والسير فيه أثير
وما عدت للوراء أنظر
فالخطو حثيث

والجري عندي محبب.

طاوعتني نفسي إذ بذلت في تهذيبها الكثير
فصبرت وتحملت وقضيت
ألا أذوب في حاجة أو أؤسر للذة
فجعلت من جسدي الفاني مخدتي
وأغلقت مرآتي
وأفرغت جيوبي من المال.

وضعت خدي على الأرض
وما كان لجبل أو فرس
أو حمامة أو رمح أن يبهرني.

غزاني الشيب وأنا مثقل
والتقيت معه بالهواجس والنوازع والبراكين

وحاولت تقبيل الشمس
فأدارت ظهرها لنفسي الحزينة
لم أعترف بها إلا بمشقة.

وصرت أركض محنيّ الظهر
متوتر العضلات
كسير الخاطر
فالأرزاء كثيرة
والمعين على الحمل قد ولى
والروح مني قد جلست عند أول مقهى
قريب
تحاول أن تسترد أنفساها
فتركتني أسير رَمَلاً
أنعي حظي
وقلة حيلتي

ونزقي

وانتحار قلبي

وتعب الروح.

ما عدت من أمسي متذكرا

إلا كسير الهوى

وشقي الفؤاد

لأن اليراعة التي أحببتها طوحتني

وغافلتني

وعاجلتني بالطعنات عند كل انعطافة .

وأذابت الشمع فوق جراحي وتبسمت

ثم طارت

وما تركتني أداوي في جسدي الجراح

وأحرقت زهرة روحي

وأفسدت فيّ الشوقَ والحنين.

لم يعد في الغد موضع لشربة ماء
ولم يعد في القادم اشتياق للغة العيون
أو حريق الأجساد
ولم يعد في الغد
أيد حانية
أو قلوب قلقة
أو كلمات جميلة.

لم يتبقَ لي
سوى أوجاع السنين
ومكثور الألم
وما ترك الخلان بي
من قاعٍ صفصفٍ خاوية
وبثور.

إهانة

كان يفترش قلبي المظلوم كله
لكنه ناور وداور وأخلى مكانه
جاور الريح الصاعد وتمسك بالصد
وارتضى هجائي ، فسقط عن حصانه
أحببته ، ورضيت فيه أن أجزع
وكرهني وأفزعني ، ووجه لي إهانة
طالما أرخيت ، شد كثيراً، وتعالى
وعندما أشد لا يرخي أبداً عنانه
ما أقوله مرفوض ، أو غير موثوق
وما يقوله الآخرون له في قلبه مكانة

جنة الرضا والمحبة والقبول
وبستان الإشادة والفرح في كل أركانه
أما أنا فحصيد يومي بائس
هجر وشقاق ، ولؤم وتطير، ومهانة
في مساء يوم قائظ انتظرته
فأسقط عمامتي ، ورماني بالكهانة
كنت أترقب قبولاً وتشوقاً وصهيلاً
لكنه كان يغسلني من قلبه دون صيانة
مستبدٌ هو، وشقي ، ومارق غير تقي
شاققني وناكدني وجادلني ، بلا أمانة
لا يعرف الفضل ، ولا يصون العهد
وجهله وتكبره، وعناده ، كفر بلا رطانة
تركته يخرج من قلبي النازف
فشق طريقه مسرعاً بلا دفع ، أو إعانة

أوارها والقمر

أخافها بالقرب
وأخافها بالبعد
في القرب تضنيني
وفي البعد تشقيني
كلما اقتربتُ طارت
وكلما ابتعدتُ حامت
حول رأسي تطن
وفي روحي تئن
ولا تتركني أرتاح أبدا
تجلدني بالسياط تبرما

وتشكو ما لا يُشكى
فالقمر بين يديها مصيبة
والأزهار تراها حطاما
والحلم الجميل تكرهه
كما تكره إشراقتي والنهار
لا أكاد أتكلم إلا خالفت
ولا أطرح أمراً إلا حاججت
لا تؤمن ولا تسلِّم ولا تنقاد
تصرخ في أذني بلا كلل
لأمر هين، أو جلل
تترصدني في كل طريق
لجوجة تقدح شراً
ترعبني إن صمتت
وتزعجني حين تصيح
وتخيفني حين تشهق

وتجمد خلايا جسدي

وترجمني سراً وعلناً

أخافها فأتجاوز عن الكثير

فتتمادى

وأحاسب على القليل

فتبرز أسنان الليث

حمى قاتلة

وجمر متقد

ومنجم فحم

والنجاة من أيها عسيرة

أفلا أخافها؟!

بلقياكم سعدت

عند حافة العبور
وعلى صهيل العيون
وعبر بوابة الشروق
ومن عبرات السرْو الأنيس
صدفة
رأيتك
تغسلين شعرك
ويهتزّ فيك الكيان
ويرتوي الهواء من سمرتك
ويسبق الحمام انعطافاتك

رأيتك

تتمردين على الصباح

إذ تمتشق الشمس أهدابك

ويتزنّر النهار ابتساماتك

ويغمض الليلُ جفنيه على صدرك

ما كدت أحني ظهري

لأعانقك

لأقبلك

لأرتويك

حتى خلتك تنتثرين

حبوباً غاوية

تضيئين اللوز

والعبق

والرداء الأزرق

وتضحكين

من أحلام الصبايا
وجدول العاشقين
وعتبات القمر
رأيتك
تنفردين
سلة من الأمنيات والمنايا
خطاطيف القلوب والرزايا
لا تملّين الصعود
على جسر قلبي
يا ليتني عشباً أخضر
أو سماء عذراء
أو نفحة غرام
في تراب رضابك
بلقياك سعدت
فهل تسمحين

أن اشتعل فيك
لظى
وسقسقة
وتجلي
يتلو رفعة المريد
إذ أبحر فيك
بلا أشرعة
تأخذيني حيث تشائين
دون أصفاد
وبلا مواعيد مسبقة
أريحيني
أم إنكِ على الولهان
لا تشفقين

بيدي أن أصير دبابة

بيدي أن أطير
بيدي أن أغير
بيدي أن أكون أطول
أستطيع أن أنمو أكثر
بيدي أن أقاوم
بيدي ألا أساوم
أستطيع أن أقفز
عن النحيب والوجع واليأس الكمين
أستطيع أن أنجز
رغم العصي والسلالم والطاقات

أستطيع أن أقرأ في ضوء فراشة
وأقدر أن أرسم في عين الشمس
وأمشي منتصبا بدون ظلال
أنا القادم نهراً بارداً
وسقفاً عالياً
وربيعاً ضاوياً
وسوسنة جدتي
أنا النافر الزافر الوافر
حسن الطلعة غير هيّاب
ولكنك حدودي والرحيل
وأنت عشقي النبيل
لمحتك تغدقين بلا كتاب
وتبتسمين للغيمات والعتبات والنفير
وتأكلين بأطراف أصابعك وتسبحين
التقيتُك سيفاً بجراب

وقلماً يهوى كتاب

وبَكراً يرنو الجواب

أنا الصدى لصوت المحرومين

وأنت قدري

وأنا الرجز المنزّل على الفاسدين

وأنت ثغري

وأنا الشهور التسعة

وأنت حملي

بيدي أن أصير دبابة

وبيدك أن تلقمي المدفع

وأستطيع أن أصير حمامة

وأنت فضاء الرحاب

"بيدي لا بيد عمرو"

قد ألتقى بك وحتفي

احتفظت بك في حلقي

وفي كتبي ودموعي
وعند انتصار الفجر
وفي عيد الصبايا
وارتجاف ذرة التراب شوقا
أنا العناق وأنت النحر
وحيث تكونين يتجلى هو
فاسمحي لي أن أكون أطول
ودعيني أطير
وهو ينظر

تأكل آخر حبة تين

بكيتك
في سري وعلانيتي
واعتصرت دموعي وانتحبت
كنت على السرير ممددا
وفي عينيك بريق القديسين
بالكاد تكلمت ... لكني سمعتك
وبالكاد همست ... لكني فهمتك
وبالكاد حركت يدك ... لكني استجبت لك
قلت لا تبكي ... فبكيت
وهمست أن ادعُ لي ... فانتحبت

وأشرت بالشهادتين ... فكدت ألحقُ بك
بكيت قبلك
شجرة جُزّ رأسها
وحشرجة طير ذبيح
ومرج أزهار داسته أرجل المغول
وألف كتاب لم تنج من محاكم التفتيش
وصدى عويل ثكالى في صفّين
وعندما أحرقوا المسجد الأقصى
و وقتما سقطت غزة
وحين اكفهر وجه دجلة
ولما داعبت خصلات شعرها
وعندما تحولت لظل امرأة
وفي قصر السلطان إذ شتمني
وبكيت
حينما تجلى القيوم وأسفر

بكيت إجلالاً وحباً وذِلّة ورحمة
وحين مرضت ابنتي الصغيرة
وعندما مات المطر بردا
ولما كلمتني الصخرة الكبيرة
وعندما سافر وحيدي
وقبل ذلك بكيت
عندما تزوّجَت بنت الخباز
بكيت
افتقاد النجوى
وانكسار الأمل وتمدّد الهزيمة
وانحسار الربيع وطغيان الأنا
وردة المؤمنين وتعملق الفاسدين
وبكيت
سكون الأشواق وانتصاب الكذب
ووفاة الحب وانبثاق الحقد

واحترقت لتلوث الثوار وانقطاع الطمث
وبكيت
لمرأى فراشة حائرة
وبعير شامخ يسير على غير هدى
أو ينكّس رأسه خزيا
وبكيت
عندما لم تقبّلني أمي
وعندما ثار أبوذر
وعندما ضحك طفل شريد
في مرآب السيارات بكيت
وعلى صدر البحر
وعند اكتمال القمر
ومع تلاوة المصحف
وحين سماعي صهيل النهر
وفي ساعات الليل البطيئة

وعندما مزق الفجر شرنقته

ذكرتني بكتاب البكاء

ولما رأيتك تأكل آخر حبة تين

وتسبل يديك بهدوء

وتغمض عينيك بلا جهد

للمرة الأخيرة

مبتسماً ، وأحسبك راضياً

بكيت

تعاندني الأنفاس

هل فاض النهر وانتشر الرعد
أم استوى المركب على العباب
هل تجاوزت بالمعقود السياج
أم انهزمت؟
تعاكسني نفسي فارتعد
وتعاندني الأنفاس فارتقب
قلما اشتقت إلى المستقبل
وكثيراً ما ساورني حلم الأفول
أعد أشيائي وأرسم القديم
وأشعر بالخذلان فأميد

تجتاحني خواطري فأنزف
وتندفع نهاياتي فأستسلم
كان البعيد شمعة غاوية
وكان القادم حلماً مقدساً
وعندما سقطت الشمعة
وتفتت الحلم
فزعت الوردة وانشق الأمل
فلم أجدني إلا مستلقيا
أحدق في الفراغ
بلا مراوغة

تفاح الكواعب وبريد شفتيك

لعلك تنقلب قمراً، فعساك تروق لها
أو لعلك تطفو على نخيل العبرات... فتحبُّك
أو لربما تنشط ريحاً منتفضة
فتميل إليك في جنح الليل لتحتضنك
ليتك تسمو،أو تتبلل، أو إليها تعرج
فلعلها ترنو إليك
هل أقسمت على التبعثر فيها، أم أنك شتات؟
أم استحلت عبقاً يفوح من جنباتها وزراً وشطئانا؟
أتمسك عن عصيانها أم أنت لها عبد مقيم؟!
أراك تدمع
أراك ترتجف

أراك تندهش
أراك تنكمش
حرٌّ أنت في أن تطأك بلا ضجيج
إنها تدنو إليك، راغبة فيك؟
أخائف أنت، أم بدنوّها سعيد؟
أم لجموح رغائبها أنت عسيرٌ؟
ها هي تُغِير فيك وتجرّد السيوف واللواحظ
أراك تتراجع وهي فيك اشتعال الكون
إنها ترقبك،تموج فيك، تنقبض ثم تنبسط
رام الله... عبق السحابات الشبقة والعسجد القديم
رام الله... اكتمال تفاح الكواعب وعنف الفدائيين
إنها حلم الصبايا والكُماة والعصاة والصوفيين
رام الله... ترنو وترقب وتدنو وتروق وتنفرج
وهي في أوج اكتمالها بريد شفتيك واعتقال ضوء
عينيك.

تونس الهمس الساري

تونس
شمس الرمال الناعسة
والقمر الأَرِق
وغدير الغيد الدافقات
وعرين الجمال الظاهر
والمستتر
تونس
وقع الأحداق الآسرة
ومنارة النعماء
وعجينة اللطف

والشفاه اللمياء
والهمس اللذيذ
تُسكِرُنا فنصحو.
عندما دخلنا تونس
غمرنا حفيف (البلفدير)
وعطر شارع بورقيبة
وانتصاب قامة ابن خلدون
وطراوة أنامل (المنار)
ولزوجة جسد(قرطاج)
فازددنا شبابا
و تعلمنا الفرح و السهاد
وطلقنا البكاء والسواد
وتعلمنا الابتسامات
وشيء من الضحك
وكثير من الحياة.

كدنا ننهزم أمام ذواتنا
فعلمتنا تونس شحذ الحديد
وتقنيات اللذة
ورعونة الأفخاذ
وسقاية الأمل
وطلب المزيد
وعندما شملتنا بالخضاب
اكتسبنا التدفق
بعد طول جدب
وتعلمنا
معاني الحب الأزلي
والخلود
مع سيدي أبوالحسن الشاذلي
وفارس بغداد الجيلاني
والسيدة عائشة المنوبية

ولم نكد نذُق حلاوتها
حتى ركبنا السفن قافلين.
تونس بوابة الناقوس
ومفتاح البحر إلى السماء
ومرجل لظى الأفراس
ووجيب قلوبنا
حين لُقيا الفاتنات
وتحسس النوافذ الزرقاء.
تونس
القمر الحبيب
والشعب الأريب
دخلناها حفاة
بأجساد منهكة
ولحظات ناحلة
وقلوب بحجم الحصى

وخرجنا منها موجوعين

بلحظات لا تنسى

وقلوب كبيرة

ولكن مشققة.

في زوايا (القيروان)

وثنيات (سوسة)

وحين يطل (بوقرنين)

و (سيدي بوسعيد)

لإعلان شموخهما

كنا نتسامى ونتكلل.

وفي (مدنين) و(توزر)

كانت الظلال تلاحقنا

والطيف الشفيف.

أحببنا (قابس) كما (المنستير)

ولفحتنا حرارة صبايا (بنزرت)

وكرم (حمام الانف)

وذبنا في رقة (صفاقس)

وزيتون السهول والغلة والتمور

وأحببنا الطاجين والهريسة

كما (البحيرة) و (البساج)

فكيف نكف عما خالط النسيج

وتداخل مع الخلايا

وسهوب الرموش والعقيق

تونس معجزة التونسيين

وهدية الله للمحبين

وحورية بحر العرب

أحببناها حتى الثمالة

ولن نكف

جسرٌ أنا

أصعدته صدري وأركبته ظهري
فصال وجال
كان في زمانه صديء
بلا أيدي أو عيون
يتعثر في خطواته
فصرخ طالباً النجدة
فكنت جاهزا
وقفت بينه وبين السقوط
وفتحت له الأبواب
وكسرت من أمامه الموانع

كان يظهر تذللا
ويجري أمامي
يقبل الأيادي ويغمس
ولكنه يستل خنجرا
يغرسه في ظلمة سوأته
ويتصدر المشهد
اتخذني جسراً لملذاته
وأحلامه العكرة
يعوي أمامي
وينهش لحمي حيثما خلا لسريرته الفاسدة
كان يلمع فيظهر معدنا نبيلا
ويقدم القليل في الطريق
وحين جد الجد نسخ كل ما قال
وبال على وعوده
ونكث معي عهوده

حذروني منه طويلاً فتاجرت به
بحلمي وأناتي وسعة في صلاتي
فشق طريقاً من صدري حتى قبري
وارتمي يضحك
فالوضيع لا تنفع معه الخيرات
ولا يعترف بالفضل ويخون
بكل يسر وسكون
وسرعان ما ينكسر
ويسقط
مخلّفاً ألماً لا يزول
علني أتعلّم
فيصغر قلبي
ويأخذ حجمه الطبيعي

حزني أجمل

كان قطرة قطرة
ثم ابتلعني بحرا
وكان ثقيلا
فصادقني
وكنت أخشاه طويلا
فشملني
حزني أجمل
يبتلعني ويصادقني
ويشملني
كلما أفل الضوء

أطلّ

وكلما قلّت المؤونة

ظهر

وكلما طال الدرب

تجلى

حزني أجمل

يشحذني قاطعا

ويحفر في قلبي

مسجدا

ويعلق على صدري

النرجس

ويصرخ فيزكّي أحلامي

إذا جلست لا يتخلف

عن المداعبة

وإذا غنيت

كان فريد الأطرش
ويترنم باللّطميات الشيعية
والروادية
والمقامات
ويبيعني قهره
من نهر الصفاء
حزني أجمل
فما أن اغتسل منه
حتى أشقى

(ردا على ما قالته الشاعرة قبلي أدناه)
لا تسلني عن الحزن
فهو منيِّي
وقلبي زادُهُ
كان بالأمس غريباً

وغدى موطني
أحمي حدوده
حاوَل البعض
اقتلاعه
فكُنتَ مشكورا
مُثَبِّت عِماده
أيها المستعمِر
ارحل
سئمت احتلالك
خذ قصاصاتي
وامتطي عمري
وارحل
خذ عيوني
أجنحة لجموحك
وارحل

أشعل النار
بأشواقي وأحلامي
كي ترى دربك
وترحل
اصلُب
ضفائر كبريائي
أشرعة
لأسطول عنادك
وارحل
لا تنسى
أرجوحة المسامير
وأسلحة الدمار الشائعة
اغرسها بأفكاري
كي تطرح حزنا
في الفصول الأربعة

حيث تنتظر الخيول

كلما كنت بقربي احتشد
وأفور كما الغيوم
أعود طفلاً لاهيا
أَسود فعلاً كاسيا
أجود بأنفاس تائهة
وسحابات فاترة
اقتربي أكثر
فلربما قضيت على حزني
وأشبعت فيّ البكاء
وحبل الصمت والصراخ

أطيلي دفأك مرتقبا

فهل ستنهضين

ومن لهاثك تتجردين

والصفير

أتذكرين

لقد كنت معي ذات ليلة

وجُدتِ بما هو أريج

باتساع العبرات

وامتشاق السيف

واستدارة الشفق

كنت

وخرير النوايا

ونمير العطايا

وانبلاج العسير

نمشي معا

ونصعد الدرجات

نحو فتحة في الجدار

حيث تنتظر الخيول

فهل تركبين

اقتربي أكثر

فلربما تنصهرين

حين ترسو البلابل

تطيلُ النظرَ حين تطل من النافذة
تلوّح بيدها اليمنى وتثير الحلم
أنطلق بعيدا ولا تبتعد
إنها قناع تنفسي وشرنقتي
تحطّ على جذعي حين أظهر مكتملا
تغرّد شوقا وتستريح
وتلحُ على البوح بسعادة
عندما تتكلم انصرف في تأملها
تخوض حرباً حين تقول
تطاوعها الكلمات أحيانا وقد تتلعثم

وعندما تقول تصنع حياتها
وحياتها عسل مفرط الحلاوة
وتتموضع هي بين الكلمات
تسردني دون أن تزفر
وتسرقني دون أن أشكو
وترصف طريقي بالقبلات
وتسلبني جنوني فتنزف ضياء
تعشق الأزهار والحلويات والشموع
تعمل بأيد ست وتفكر بعقلين
(سيتا) أيقونة الجمال وهِبة العالم
حينما تعانقها الغيمات تنهمر
وتزجي للحصيد أغاني البلابل
وتنعش ذاكرتها بحبل الوداد
وتنجو من حيرة النهار بالخرير
تنصت للأشياء والناس والدبيب

فتنة ولين وسطوة وطرب
ويسر ونمارق
حينما عدت ذلك المساء
كانت تجدل شعرها وتكحلُ النجلاوتين
وتعد طعام العشاء وحلوى الحلبة
وتقرأ شيئا من الشعر المبلل بالولع
تركب قاربي وتسحب المرساة
وتبحر بين غناء البلابل والنداء

خمرة الصوفي الحصيف

مثل وهج النار
وإدبار الليل
وتغريدة النهر
وانجراف السهاد
حدّقَت في وجهي بعبور
وضمتني بعينيها الناجيتين
ومرّرت يدها الغضة فوق رأسي
حصنتني بابتسامتها اللاهبة
وفجر ثغرها البسام
ثم ركضت مثل قمر وثاب

ليان
ابنتي الصغرى
ذات العينين اللوزيتين
وذات الرداء الطهور
حائط الرجاء الأخير
وانفلات اللحظات الصاخبة
وخمرة الصوفي الحصيف
وكسارة الصخور
ومبعث البهاء في صدري الحزين
ومزن الليالي الناقمة
علمتني
نوّرتني
كيف يكون الحب
وارتسام الأمل في بدر النخيل
ورحيق القلوب الدافئة

علمتني

كيف أفك أقفال النهايات

وأصنع سلالم الأحلام

وأرجو الله استمرار الزينة

علمتني

كيف أكتب اسمي بحروف جميلة

وكيف ألفظ اسمها بأناقة

وكيف ألهو معها بخشوع

وألتقط الحكمة من عبراتها

فلا أضيع

رام الله ارتفاع الموج

حينما تسقط من الفضاء
أو ترتدي ثوباً أصفر
أو تلطخ يديك بالحبر
أو تفكر عاليا
ستجد رام الله إلى جانبك
وحينما تغني في المنارة
أو تجادل بنات بيرزيت
أو تتبختر بسروال قصير
أو ترسم طفولتك على الشارع
فإن رام الله تغفر لك
وحين تلاحق الصبايا

وتقبل الخد الأسيل
وتقول شعر محمود درويش
فإن موج رام الله يرتفع
و حينما تبكي ولعا
أو ترجو الانصهار في عينيها
أو ترشف رحيق شفتيها
أو توسوس لك النفس بالتجرد
فإن رام الله دوماً حاضرة
على أرصفة شوارعها
القصيرة المتعرجة المثيرة
ترتدي الحسناوات عاصفة
وتحمل العجائز بيوتهن على الرؤوس
ويتسلى الأطفال بالأسلحة الخشبية
ويحتكر الطلاب عجاج المعارك
في رام الله مدينة النقائض
بإمكانك أن تشعل الدنيا

أو تعمل رجل إطفاء
رام الله خد فلسطين الوردي
وعينيها العسليتين
فيها يأكل القمر الفلافل
وتغسل الريح شعرها بوداعة
وترتدي الأُسُود رداء أبوعمار
وتغني الفراشات نشيد الثورة
لأنها سر الله الدفين
ومحراب العاشقين

ساعتي تزف

حسبتها نهرا يفور
أو سهما يدور
أو عيني صقر تقرر الرفض أو القبول
لكنها
للوقت تتشوق
وتطل عليك صبح مساء
في كل آن
تزف إليك البشرى أو الذبول
لا يهمها اختلاف الناس
أو القضايا والرزايا وتعابير الإحساس
ساعتي لا تطرح السؤال
ولا تعترض أو تصول

هي بين الناس عملة ثمينة
وفي الفعل جد خطيرة
كانت حلية جميلة و سوار أثير
لم تتمرد أو تثور
لكنها فتحت باب السكينة وربما الثورة أو الأفول
لك أن تختار
وما عليها إلا الدوران
في معصمي كانت تتألق
في زمان لها ومضى
وعز لها انقضى
إنها اليوم تموء
إذ حل محلها الهاتف المحمول
بأشياء كثيرة وكتاب مقفول
فهل أنصفها العشب والغدير
وانبهاري بها والزمن الغبير
وقبلات الأمس والحرير
أم طالتها القشعريرة وحريق الأنفاس

سجّادة

كنا نمشي معا متشابكي الأيادي
هم العاشقون ...
يتشابكون يساراً بيمين
ونحن نتشابك بالأيادي الأربع
وعندما يطلون علينا من النوافذ
بعضهم يبتئسون ألا يكونوا مثلنا
والآخرون يفرحون
أيام مضت مخضخضة
دون قلق فالسنين قادمة
والحياة كمومس لعوب

تزين الغواية

والعشق يصنع من الخيال

طربا

وافتراضات

بعد عشرين عاما

وطأت روحي

فتسامت

لكنها ظلت تحبس حياتها

في قائمة مشتريات

في ثلاجة

أو غسّالة

أو سجادة

لا تمل عن النحيب لنيلها

عشرون عاما انتقلت فيها

وتسامت

وما زالت هي

بلا روح

قطعت من قلبها مزقا

وألصقتها

قطعة في الأرائك

وأخرى في الطاولات

ومزق توزعت

بين الملابس والأحذية

وسجادة

بعد عشرين عاما

قلت لها لك في القلب منازل

وفي الروح ارتقاء

قالت لي

أريد السجادة ...

فكف عن ذلك

سيفٌ مشهر

لم يعد أمامي الكثير
فمن العمر انقضى الربيع
وما كان أمامي يلطم ظهري
وأحلام الشباب حالت دخانا
وأرض الأمنيات جدبت
وصياصي النجاة تهدمت
فملتُ على شجرة
وألقيت عليها بهمومي
وتناسخت معها قليلا
ورجوتها السماح

فمنها أستمد القوة وأمتلئ بالوقود
كنا رأسا برأس وعينانا متقابلتان
أنا والشجرة
ذبلت الروح وانقطع الرجاء
تسامت الروح وابتهج الرجاء
وتفضض شعري واحتملتني العظام
وصرت شيخاً حكيماً وسيفاً مشهرا
كانت الشجرة تحدق بعيني وتردعني
وترفض كلامي وتحاجني
حتى امتلأ من وقودها خزاني
فصرت طفلاً لاهياً وعصفورا
وعدت قوسا شديدا وجحفلا
وما عادت الغربان تنعق فينا
تجدد الجسد وامتشق الفكر سيفه
وصهلت الروح وانبثق النور

فانفككت عن الشجرة وقفزت
هأنذا أُلامسُ وجوهكم كلما هبت ريح
وأخاطبكم كلما مر في ذهنكم خاطر
أو حين يخامركم شك
وحين تحلمون بلا شك
تروني

شجرة تشكو

في البقعة الأثيرة من بيرزيت المكان
وقفت مشدوهاً بأرض الزمان
أحبتها عينيّ وعانقت قلبي
وأكثرت فيها من قُبَل الغزلان
أطلقت عيني تطوف السّهوب
وتعلقت روحي برجرجة الهبوب
ريح لطيفة ونسمات ناعسة
ألقت رحلَها على سفح خدي
فكدت أهوي من شدة وجدي
جلست أرضاً، اقتربت كثيرا

بدأت أصغي فسمعتُ العجب

طيور تغني وجداجِد تصرخ

وفراشات تتثاءب

ونملٌ يفكر في شتاء قادم

وشجرة تشكو ذبول الأغصان

وأخرى تستعيد ذكرى الخلاّن

أصختُ السمع توقف القول

سمعتُ الصمتَ هديراً وعِبر

فكدت أذوب في حُب الصباح

وفي ذكرى أطلت في عيد النجوم

سخاء محبب وعزف كثيف

في أذني تجلى ونار الغدير

على تلك التلة في بيرزيت

نسيت نفسي وحار الأصيل

وعدت شهيداً لذات المكان

في مجد البديع وبديع الصنيع
رويت مسائي بعصير العنب
وألفيت روحي تقبّل صخرة
واعتليت غيمة برزت بالمكان
وطفت أعانق هسيس الأغاني
رسمت رماحاً رسمت سيوفا
وكنت أقاتل رياح الغضب
فتلفتت زهرة وصاحت تنادي
في حب البلاد يسود الأدب

شفيع التائبين

هو الذي إذا كنّي عجزت الكلمات
وإذا تحلق حوله البرق اتأد
وإذا دامت الريح على تجنبه تختار
عشقاً وحباً ونشيدا
هو صاحب الكلمات والينابيع
في عينيه تستريح النغمات الحزينة
وتستوطن قلبه الدموع
هو الشافي النقي الناهض
عندما يمد كفيه تسجيب الغيمات
وتنزاح الغمم

وتأكل الكائنات منه حلو الريق
صحبته بالأمس فقمت شامخا
وارتويت من صمته
ونوازع هنّاته وابتساماته والنهى
هو سيد الكائنات والنجوى
وشفيع التائبين والخُلّص
رفيع العماد شديد النفير
رائق النظرات معجز اللهفة
يفرد جناحيه فيحتضن الدنيا
ويكتب على سنا الأرض ثورة
ويركب الأمواج بلا مجدافين
ويحسم المعركة بكفيه العاريتين
وقنديل القرآن ورواسخ الآيات
هو الحبيب الطنيب المجيب
هو النسق المظلّل بالجنان

وأعجوبة الخلق ويد الله
عندما تبصره لا تحتاج لعينيك
فهو الهادي البادي المعين
النافر من الظلمة ، مصباح الهدى
سيدي
سيد الدارين والعالمين والزجاج
سيدي
لا تفتر همّته ولا تزوغ بصيرته
يمسح رأسك وجسدك بالدعاء
فتضمن قبرا مشرقا وفردوسا
ما لكم والصديد
وما لكم والبغاة
واتركوا الأشقياء وسود المهج
فالرسول محمد قد أتى

شهيق الأرض وزفيرها

جُلت الصحاري
وصعدت الجبال
وقطعت الحواجز
وحلَلت في رطب السهول والوديان
ولم أجد عشقاً رابيا
إلا في وهاد صدرك والشروق
فأقمت في عينيك دهرا
ولم أنظر إلا لما ترين
وعقدت العزم على العبور
بين جنبات قلبك والثلوج

تراءى لي الليل
بين سفنك فجراً صادحا
وقفزت في المسافة الضيقة
بين انكماش الظلام وسطوع النهار
فوجدتك تركبين الخندريس
فكنت شهيق الأرض وزفيرها
فكيف أحيا إن لم أتنفسك

صلاة وطبول

سيكون يوماً مشمساً هذا اليوم
تنفست بعمق وألصَقتُ أذني بصدر الأرض
أتظن ذلك...كلمتني
إذ بعد الليل الماطر لا بد من نهار بهيج
وكأنك تعلم
كيف المسير بالطرقات المتعرجة بلا كوابح
وبلا مشاعل أو مصابيح أو زجاجة ماء
ولكني وجدت طريق عودتي نحوك
أهلاً وسهلا
كان اليوم مزخرفاً والهدهد يغني بسخاء

أما زلت متشككا

وكنت أقتبس الروايات من قلق الشتاء

وأجرّ خلفي سربا من الطيور ومكتبة مفعمة

هل في القارب متسع أم البحر يغني

أراك سعيدا

أواصل الحركة فعنوان الحياة صلاة وطبول

وميدان الحياة صباح وعشق الثنايا و الوصول

هل يجب أن نبقى معا

لن أنسحب ولن أتراجع،

نعم يجب أن نبقى معا

أسرعت الخطى لاقترب أكثر وأسمع

إذ كانت الأرض تغني وهي ما تزال هنا

طاقتي والكلب

هل تنقبض الشمس فتتجهّم
وهل تثمل ورودها في رابعة النهار
أم هو حظي العاثر!
وخطى رجليّ المحسودتين
إذ حوصرت في كهف
حيث الطاقة السلبية ترعد؟
وقف الغراب يخطب
في جمع مطأطئ الرؤوس
أشبع قلبي بالهموم والشقوق
واقتنص من خلاياي المشرئب

وانفلت يذبحني
مطلقا نار مدفع مشعٍ
كان جو المكان خانقا
وكانت الحوائط سوداء
والأقمار مذهولة
وهواء رطب ينحرني
وهو يتخبط في عباراته
وخطابه يشخب دما
يستدرج الكلمات علّها تطاوعه
فتخرج من خيشومه ساخطة
رقيعة ناصبة رافضة
وأذني تكاد تعوي
ويتهيأ لك أن الكون أجوف
وأن السماء تسقط على رأسك
وأنك في حفرة أفضل

فهو يجأر
وإن سكت تحل علينا اللعنة
خطابٌ أسود
يزرع اليأس ويهدد بالويلات
فالنار تشتعل بردائك
ويستخدم الله فزّاعة
يحصّن فيها أكاذيبه
والنقص الساحق في شخصيته
وانكسار الإقناع
وصعود الخرافات
طاقة سلبية صاعدة
تصنع من الخوف والكره والأحقاد
حقلا
وتصنع من البديهيات معجزة
ومن الخرافات حقائق علمية

تركته يهرف ، وعدوت
واحتضنت أول غيمة قابلتني
وحمدت الله كثيرا
وقبلّت أشجار الربيع
وحجارة الوادي
وضحك لي كلب هزيل
يهزّ ذيله في منتصف الطريق
وأشارت لي حمامة ملوحة
واستقر هواء عليلٌ في رئتي
وأناخ الله بعيرا
حملني رحمة نحو البعيد
فباحت لي الريح بأسرارها القرمزية
حين خلّفته وراء ظهري
لقد استعدْتُ طاقتي الإيجابية
من نبل الطبيعة
ورقة بديع الخالق

عاجلتني بالتحية

أسرتني احتوتني اجتاحتني
بسهولها وهضابها ورائحة تربتها
بعطر برتقالها وزعترها البري
بارتوائها وعنفوانها وتدفقها
بميرميتها والخرفيش والحنون
بالتين والزيتون وطور نابلس
بشجاعتها ونبلها وطهرها
بالعنب والجريد وطلحها
بقدرتها على صنع البشر
استقلّت بقلبي وتعللت
وجادلتني في الأولويات

وفي الدين والسياسة وحقوق الإنسان
وفي الماء الطهور وخشب الزيتون
عمرّت في بيادري مسجدا
وأقامت في صدري عمودين
كتب على الأول غزة ورام الله والقدس
ونقش في الثاني حيفا ويافا واللد
وقلّمت أغصاني وعشّبتني
فما عدت أعرف فرقاً بيننا
هي قرية فلسطينية طافحة
بالحب والأمل والتغريد
وكثير من الأمسيات السعيدة
وأنا من قضى عمره حلما
لو كانت بحراً لغمرتني
ولو كانت موجاً لاعتلتني
ولو كانت سحابة لأمطرتني
ولكنها أنا وأنا هي

نغمر ونعتلي ونمطر
ونمسي ونحب ونزرع
قرية فلسطينية زاهية
رمقتني بزاوية العين فلم أنم
كان صدرها يرتج دخانا وألما
وأنفاسها متقطعة ولكن صامدة
عاجلتني بالتحية والصبح الرقيق
واختتمت يومها بتربيتةٍ على كتفي
وناولتني خبزاً شهياً من الطابون
وضمة كبيرة من البصل الأخضر
وشيئا من الزعتر وصحن زيت
فلم أتمالك نفسي وصرخت طربا
ودرت حول نفسي حد التعرّق
وعندها قفزت من الحلم

عشب أصفر وحصيد

في ليلة مرض وأوجاع
وجه الشيطان ومظلة الأباليس
سجن الطهارة ورائحة العفن
كانت تسري في دمي
وتغرقني في تلاطم الصديد
تنزفني ملوثا وتقذفني طعين
احتككت بها محاذراً طويلاً ..فعانقتني
قبلتني ..غشيتني..وهتكت روحي
واحتويتها طويلا مضطرا، وعقرتني
لا تكف عن الشكوى والطلبات

ولا تحدثني إلا بالأوامر والنكبات
فتحت لها الأبواب وكانت طاغية
عبوسٌ شموص مقثاة الشرور
لطالما نسجتُ فيها الأشعار
وأدرتُ معها نقاشاً وحوارا
ولكنها افترشت قلبي غانية
ومرت على عظام ظهري كاوية
وأسبلت عينيها على صدري
وكان منها طبع اللؤم والخيانة
والخسة والربا والكهانة
ساومتني ..لاعبتني..كايدتني
لدغتني كثيرا، على العموم
فتأوهت أنا وقهقهت هي
في كل مرة أسامح ولا ألوم
وأعتذر كثيراً وهي الملوم

إنها شيطان مريد
فيها العناد والاستبداد والتسلط
وأفعال البغي الأكيد
تضحك وتطعن وتراوغ وتُثْخِن
كيف الخلاص من نزغ الخناس
وقاهرة الروح وهدير الأنفاس
ذات وجهين ولؤم وكذب شديد
يا ليتني عشب أصفر ،وحصيد
أو عصا راعي أو زبُر حديد
ولا أكون فيها أوتكون منّي
تملّكتني رباطا في برد شتاء
وألقتني مكبلا في العراء
ثمانية وأربعة واثنين
سلبتني العافية والمضاء
وصفاء ذهني ورقة قلبي والنداء

واهتزاز قعودي والغناء

انتظرت منها جملة أو كلمة

ولكنها خرساء الفخذين والعينين

متحجرة القلب دانية النارين

فهل فيها تجوز الشكوى

وهل من مثلها براء

فتاة الكمنجة

تحرك ذراعها اليمنى بخفة
وتسند الكمنجة على كتفها الأيسر
ترنو انبثاق اللحن الشجي
فتغمض عينيها وتصيخ سمعها
تؤرجح الرأس والصدر والكمان
تطرب من حبات المطر
وضحكات أشعة الشمس
وقُبلات القمر المعزوف
ومكعبات السماء والشجر الأخضر
تغار من احتكاك العود بالوتر
وانتشار الفضاء صديق المطر

تخفت النجمات وتعلو النغمات
وتهمس الفراشات بأسرارها
وترتدي الأرض قرطيها الماسيين
وتعترف السنابل بالحلم
فأذوب أنا في خالص النسيم
يهفهف على خدها ويداعب عنقها
ويروي قصة الأمس في قرار وجواب
ما زالت الكمنجة تتحسس ذقنها والجيد
وترسل فرسانها يجوبون السهوب
لا يمل اليعسوب من الحديث
ولا الزهر من الغناء
ومن فتحة في جدار السماء
تطل هي بهيةً نافرة ناهضة
فينشقّ قلبي دوائر وأهلة
وأرقص مع رموش عينيها
وأقبّل فيها الحواجب والجليد

قلبي فصول أربعة

رأيتك تختبئين خلف الغيمات
وتهربين من ثغاء الريح
وهمس العتبات
وجدتك تطرقين باب المطر
وتحلمين بعزف النجوم
وتترجمين لغة الأرض
لمن لا يفهم اللغة الأصلية
كنت في الصباح فراشة
وتمسين على سفر
ترتاحين قليلا

من خلجات النفس
وإطراقات السهو
وتجوبين السهول والأحلام
والبيداء
وقلق الروح
وتسافرين بين أقمار فؤادي
وفي فضاءات العيون
وتحت أجنحة البجعات
ترسمين الانشراح قوس قزح
وتسخرين من هزيمة المحارب
وانتكاسة الشاعر
و رِدّة العاشق
وغرق الموجات في أخاديد العناد
وتشرقين من الألحاظ
بحراً طاهرا
في رقة الشفق الأسير

وتنثرين سيوفا جوى ودنفا
وتفرحين بحجم قلوب كل العذارى
وآمال المراهقين
وأحلام الأُسُود
وإبداعات الثائرين
لمرآك يسكن اللجَج
ويطيب الغناء
وتُكشَف الحُجب
وتصحو البجعات بوداعة
قلبي بين يديك
فصول أربعة
إذا حزن فهو سعيد
وإذا تألم فهو سعيد
وإذا تعلّم فهو شكور
وإذا أدمنك حباً فهو حبور

كبرياؤه وانزعاجاته

يهيم معي في الخيال
ويبسط الرؤى
ويجيب عن السؤال
ولمقطوع العناقيد
حسم
وفي زمان مضى
رسم
وفي غزوات انقضت
واكتشافات وارتحالات
امتشقته

فكتب

كان حبٌ قديم

لم يشرق نهار

أو يرخي الليل أستاره

إلا كان فيصلا وحَكَم

لم يفارق الأصابع أو الجيوب

ينحت ويخط ، يصعد وينزل

يحب ويكره

ويصرخ أو ينتحب

لكنه موجود

أقول كان

أما اليوم

فلم تعد الأصابعُ تهواه

كما العقل جفاه

وحلّت مكانه لوحة المفاتيح

في الحاسوب والهاتف الذكي
دون رضاه
كان القلم ... يصقل الفكرة
ويقترن بالمسطور
ويختال
ويغني منتشيا
إلا أنني رأيت
في أصابعي المجرّدة ...اليوم
منبع شوق ورغبة حالم وفرصة للفرار
من أسْر القلم
وأنينه وكبريائه وانزعاجاته
فأصبحت لا أعود إليه
إلا في الشدائد
عند انحسار الفكر
وارتقاب القريض

وارتشاف النهايات
لكنه وان غاب
هذا القلم
ورغم الجفوة والعتاب
فان في ما صنعته يداه
سجلت في زمن طويل
وجعي
و انتصاراتي

لا تدخل الشمس سجني

لا تدخل الشمس سجني
والماء يجري حراً بالجوار
لا يدخل الهواء زنزانتي
والأطفال في بلدي يلهون كالأبرار
كيف لا تدخل النسمات قلبي
والأحباب راقدون في لب القرار
عفنُ السجان يملأ أنفي
ويتضاحكون خزياً و عارا
بالأمس شبحوني وضربوني
واليوم لمثل فعل الأمس تكرار
زميل الزنزانة أشجى قلبي

أنينا ونشيجاً وحنيناً بتارا
عففت عن الشرب وزهدت أكلي
ورغبت في عيش الأسود والثوار
ثمانون يوما أصلُ يومي بأمسي
وفي الغد لي الدنيا والنوار
انأ الذي صام حباً في الله ووطني
ونشر جناحيه يشق مغاليق الدار
إن كنت في نكد وظُلمة تعصي
فالشمس تشرق من عيون الأحرار
لا تدخل الشمس سجني
لكن النور في مهجتي بتّار
أهلي وأمي وصاحبتي وابنتي
يحملون الرجاء والأمل والعطر المنثار
حرٌ أنا في عمق سجني
وسيد أنا في حديقتي والأزهار

لحن المسير

دعوني أحوقل
دعوني أبسمل
دعوني أقرفص
دعوني أطير
دعوني ألاعب
صغار النخيل
شهدت النوازل
وخضت المنازل
كرهت الهجير
ركبت العواصف

سئمت الحرير
سعدت بانهزامي
وحظّي الضرير
دعوني أحلّق
دعوني أمزّق
دعوني أحطّم
فتات الصواعق
نهاري الطويل
وغيظي وفيضي
وبقايا حظي
وإرهاق قيظي
ونكدي الأثير
وقفتُ مليا
شخصت بنظري
أناجي الثريّا

وسبعين حلما
وثلماً صغيرا
وقصر الأمير
دعوني أحلق
دعوني أطير
أقود الهواجس
كثيفاً وعابسا
وكذب المرايا
وعنف الهبوب
دعوني أغوص
دعوني أرفرف
في نور الطبيعة
ومشكاة روحي
ونصل الشفاه
وبحر الهدير

أقبّلُ جبينك

كأني معينك

وأحصي دموعي

وأثمان ركوعي

أُلملم روحي

ألَمي وخضوعي

واحتراق شموعي

صبوتي وخنوعي

في ليلي الأسير

أكبل عيونك

أصفد جفونك

وأركب رموشك

فأنسى الكثير

أطلْتُ التفاتي

تركتُ فؤادي

حبي وسهادي

ونسق الحمام

في ألق العبير

دعوني أخاطر

دعوني أزيل

بقايا الشجاعة

بجسدي الحسير

دعوني أهاجم

دعوني أميل

فرأسي تقاتل

وقلبي عليل

حسبت حسابا

أجبت جوابا

وقُدت جيوشا

حطّمت قلاعا

وعدت أسير

ضلوعي تجادل

وعيني تغازل

بقايا الحبايب

ونار الصليل

وبركان خدي

ومعشوق روحي

وأرض النمير

دعوني أقاتل

دعوني أطير

دعوني أثور

فمفتاح حالي

ومرسال فكري

وتحقيق حلمي

ومنجاة روحي

في نور داري

وإسعاد فرسي

وحب البلاد

ونظم العباد

ولحن المسير

لذاذة ثمر

في خيمة
عند اكتمال الشمس
بعد هزيع بارد
وتحت صدر الجبال
الكبار
وعند أقدام نهر جار
تسفرين
عن لذاذة ثمر
لم يكتمل النضج
وترسلين أشعتك

بهدوء

فيلجم لساني

وانبهر

(إلى صغيرتي ليان)

لن أقبل أبدا غيرك ... فلسطين

عن سماءك الرقراقة
وعشاءك اليومي
لن أتخلى أو أرتحل
وعن جنة العيون فيك
وانتصاراتك الصغيرة
وعن صهيلك المتواتر
ورعونة المسافات
لن أتراجع أبدا
في ترابك المعجون
بصدى الأرواح

وجيدك الموشح
بالحطة المنتصرة
وشكيمك الرابضة
بين جرزيم وعيبال
وفي نحر رام الله
وصدر بيت لحم والخليل
وعن انهمار أيامك
في لذيذ عشقي
لن أغيب
وعن صفو رياحك
المنتقبة
بالثورة والنوار
وارتشافاتك الليلية
من مُزن الأنفاس
سأموت فيك

ولن أستكين
وفي ارتقاب سنا شمسك
عابرة الوريد
وغياب احتجاجاتك
في شرايين دمي
واعتصارك لي
في شطئان حيفا
والجليل
سأنتظر السنين
تلو السنين
رأيتك تخطرين كالهيفاء
في عيون العاشقين
وترسمين حياة
في بيسان و يافا وجنين
لن أتراجع أبدا

والعودة حِرْزٌ مكين
ولن أودعك غدا
فما زلت وفية تحلمين
وتقبلين علي
وتثرين غاباتي
بالهطول والهبوب
إليك الصعود والدفق
ودونك الثرى
والمسكوب
لن أقبل أبدا غيرك ...
لأنك فلسطين

ما زلت أمشي

في ذاك اليوم
عندما تعلمت المشي
احتجتك كثيراً لأول مرة
لكنك غفوت
وعندما تعلّمت الضحك
وثرثرت سعيدا
كنت تتثاءبين غير مكترثة
في اليوم التالي
نصبت طولي
واجتزت عقبتين

وتسلقت شجرة التفاح
وصادقت دميتي
وصافحت ثلاثة من الغنمات
وكتبت اسمي بحروف أنيقة
وحملت كراسي لأريك إيّاها
بحثت عنك طويلا
لكنك كنت تحرقين كتبي
وتسكبينني من الشرفة
سنواتٌ مضت
مشيت فيها دون سراج
واجتزت مفازات عريقة
وحزت نجمات كثيرة
وملأت سلتي بأحلام نبيلة
وتعطرتُ لأعانقك
لكنني كلما عدت إليك

تلقين ماء الغضب في وجهي
وتصرعين الغيلان والرغبات
وترقصين
تمنيتك في بوتقتي
في مجرى دمي
لكنك أبيْتِ
عجبت من ابتعادك والصدود
ومن حمرة شفتيك والبارود
حتى الغدران تألمت
وحارت القمحات والحمامات
وسقط البَرَد
رغم قساوة السُحب
وشح المطر
كنت بانتظارك طويلا
منذ حبَوْت

لكنك كنت عني تميلين

جافية

وأنا ما زلت أكتب

وأنا ما زلت أحلم

وبعيداً عنك

أمشي

محظوظ إذ ينال

قال إنه محظوظ
فظننت المال مسعاه
وقال إنه سعيد
فاعتقدت الجاه رجاه
أتراه يسعى لمركز أو منصب أو فراش أثير
أم بغيته امرأة يحبها أم عزوة أم بيت كبير
أم مكتب فارِه وكرسي وثير
قال إنه محظوظ
قلت لربما هو من أصحاب القوافل
يحلم بالصوف والخز والفراشات والحرير
ويرجو عيشا هنيّا وعافية وغدير
أعادها على مسمعي ثلاثا

لست محظوظا لمركز أو مال أو نسب أو بنين
ولكني سعيت
وفي السعي سعادة
وأحببت وفي الحب عبادة
وآمنت وفي الإيمان صلة
وعشقت الرمان والقمح والنسمات
ودعوت وفي الدعاء مغفرة
واهتديت وفي الهدى رزقي
وسموت وفي الروح نوال
وكان الله هادينا والجلال
فحبانا نحن الفلسطينيين
بما افتقده الآخرون
من حظوة خصنا بها
أن كنا أبناء هذه الأرض
دون الناس أجمعين
فنلنا أكثر مما تمنينا
أفلا نكون من الشاكرين

من أنت إن لم تغضب؟

تعالَ واغضب
اغتسل من طيبتك
وحبك السماوي
وهدوء خاطرك
وسلبيتك
وافرك عينيك
واترك الرموش الناعسة
جانبا
وتخفف من ابتساماتك
وتعال اغضب
ألا يستثيرك صدأ العقول!

وحرقة الأم
وانتظارات الأسير
ومناجاة القلوب!
وتردد الفراشات
ونشيج التراب
من تحت شهيد
أو شجرة زيتون
ألا يفجّرك من الداخل
رُعب النخيل
وسقوط القمر
في رداء الاشتياق!
ودموع الأزهار الطريّة
وانكسار الأمل
وصبر الفلاحين
وسكنات العوسج؟
ألا يغضبك

ارتفاع الصديد
وتكاثر الرمال
وتعطل العيون
وجدب النوايا
وحسرة الصبايا
وارتداد الأبطال
ووجع الأموات
وخذلان الزهور
قم واستقم
ولا تُدِر ظهرك واقتحم
اغضب كثيرا
والتزم
واسلك طريق الناجين
ولا تستكن
من أنت إن لم تغضب؟

من نَفَس الثوار قادمون !

عمالقة

وقفة ثابتة

ورأس شامخ

يعانق الفضاء

وعيون ترنو

وقلب بالايمان عامر

شامخون هم

راسخون هم

جامعون هم

للشمائل جامعون

الله غايتهم

وفلسطين قبلتهم

ترى فيهم ابن الخطاب

وترى محمد الفاتح

كما ترى الكواكبي

والحزن العقيم

***

لبرد الصيف وحريق الشتاء

للأصداف الحبيسة

والناي المكبر

ومطاليب الأزهار

للحقائق جامعون

وللغد المسربل بالنوازع

***

حين يطلّون من عتمة السهاد

تنفرج الكوّات
وينعقد الأمل
وتبدو الرياح بثوبٍ زاهي
لأنهم من نفس الثوار قادمون
على لهيب الصهيل
ومن رشقات الظلال
يندفعون
***
هل رأيتهم حين انبلاج الصباح
واكتحال الأرض بنور الشمس
هل تخيلتهم يتلفعون بالنار والبارود
أم حسبتهم ينكفئون
وما لك أن تحسب ذلك
***
عرايا من الإثم الممجّد حولهم

يكتسون لون الرحيق ونسمات الفجر النابت
إنهم عربٌ فلسطينيون
حين يصبحون وحين يمسون
تخالهم برقا
وتحسبهم يد القدر
لأنهم
لا يقبلون القليل
ويحلمون بما يحققون
وحلمهم على أكتافهم يصول
وفي عيونهم مثقاب وحنين
وعرس قادم
وفعلٌ جليل

نادي المهج

قبّلتُ رموش الطفولة
حاورت دموع الالم
مشّطتُ حصون البرايا
نشّطتُ سرور القلم
....
خَفَفْتُ نشيطا نهضتُ سعيدا
جهدت أحارب طيور الظلام
حففتُ بهن سعيتُ لهن
كبرت أناغي حصاد الألم
....
جمعتُ الكلام وعتيق الصور
وبسطتُ ردائي لدنيا النعم

حياة بسيطة وشربة ماء
ومهر أصيل وعشق الشمم

....

بسمةٌ كسولةٌ وعينٌ سخية
ونحرٌ جميلٌ وحار النغم
سرير وطيء وفكر دفيق
ونظرة حب وسقيا الغنم

....

مراراً حسمتُ كثيراً رسمت
وأطلقتُ فكري وقلبي خلج
ولكن رأيي لمرأى عيونك
شتات فتات في نادي المهج

....

ثمرٌ رقيق وريق لطيف
وثغرٌ جميل يقول الحكم
وسعيٌ حثيث ونطق طريف
وغصن بان ينيرُ الظُلَم

نبيل يلتقطُ النجمات

عمري معه ليس صفحات عابثة
وأيامي معه ضجيج وكلمات حاشدة
أتصفح الكتاب فتهطل الدموع غزيرة
وأُبعثُ حيا
نشأ كقطرات الندى اثر عاصفة
وعاش بساعدين لحوحين وقلبٍ دافق
قلبَ النهايات وما قبل النتيجة
وفتحَ صفحةً جديدة، وخطّ بيده اليمنى
هذا بياني الأوّل: لقد ولدتُ حصانا بريا
وأقفل الكتاب
ما كان لمثله أن يعيش مستكينا
وما كان لمثله أن يرضى بالندوب

وحقَّ لمثله أن يلجَ الصهيل ويقتحم
ويبحر في تلاطم الموجات ويزفر
نبيل
عرَق السنوات العجاف والزمهرير
وأجراس الميلاد الدافئة واللحن الحزين
وسنابل القمح العتيقة، وأذان الفجر
والمرسوم رقم واحد للقمر القديم
وعناد الدموع النازفة والقلب الكسير
وبيرق المغول الشاكي، ونصر صلاح الدين
سارَ يلتقطُ النجمات من حقول الشمس
ويزرعُ البرتقال والنجوى والعويل
فيصنع ميلاده الهادر كل يوم ويثور
أقفل الكتاب وفي القلب نشيج
لقد توسد مقلتي فكان دمع العين
وافترش جفوني فكان حروفي النافرة
نبيل... سهم العواطف الجيّاشة، أحببته كل يوم

نحر الزمن

ينسلُّ من تحت عيني
إذ كلما غفوت يفاجئني
ويرسمُ في جبيني ملحمة
كلما ساءلته تهرّب
وكلما تداركته يهرب
يطبع خاتمه في كل خلية
يكشفُ عورة ليلِي فيُسفر
ويلحق بكل شعرة برأسي فيرديها
ويستقرّ تحت العيون وفي الراحتين
كنت مستعداً للقفز من القطار
لكن عينيها منعتاني

ليان ابنة قلبي وصدى مساءاتي الحالمة
فأنا منذ ردح طويل قد اخترت
أن أقرأ دعاء الوداع
وأن أصلي على نفسي
صلاة الجنازة
كانت تحملق بي فأرتعد حبّا
فتنقلبُ خياراتي وارتد
كان الزمن يسعى اليّ كأفعى.
يستقرُّ تحت العيون وفي الراحتين
ويستفزني كلما قاومته ونهضت
جرّدني من كل تنهيدة أو صرخة
ومن كل غمزة أو فرحة أونظرة
زمني قد فات... وزمانها قد أتى
قطارُها يجرَّ عربتي بصعوبة
و الشيب المتكاثر في رأسي يضحك

والهلعُ في وجهي لا يقنط
لا يقلقني المشيب، ولكن الزمن مستبد
فأنا علقت في نحر الزمن
إن ذبحته ماتت وإن ذبحني عاشت
لا يروقني أن يسحب مني اللحظات الجميلة
وساعات الوحدة والتأملات
وترياق الصبابة وساعات الأرق
والأفكار النازفة والصلوات الكثيرة
زمني الأخير، وسواد ليلي
لمحته يرتدي عباءة الحكماء القشيبة
فينزعُ عني الصِّبا والنزق والثورة
ويحطمُ فيَّ الشغبَ والهدير ومقعد المعارضة
ويقلق أفكاري ويستلُّ روحي
وددت لو انه سكب الحكمة في جسد غيري
وأبقاني -كما أنا- طيراً لا يكف عن التحليق

هاني خميرة الكلام

كان الكلام لعبته وكان الجواب مهنته والحرير
وكان الحوار بغيته والنضالُ مركبه الى النجوم
عندما يتكلم
ترتفعُ الاقدامُ عن الأرض
ويطيرُ الشاخصون إليه بلا أجنحة
ويتخلّلهم قليلٌ من رذاذ غيماته الطافحة
وترتاح أفكارُ المتلهفين على عتبةِ خطابه
فترتخي وتستسلم
وأظنها تتهيأ لفصلِ القبول الزاهر
وعندما يزأر تُحسُّ في كلماته جرسا لذيذا
ومياها دافقة

ولعلك تغارُ من قشيب حُلَل أفكاره الظاهرة
والمتوارية
وعندما تتقافز من فمه الجُمَل لا تنفصل عنه
وإن أصابت فيك الكبد تظلُّ تشيرُ اليه
لا تستطيع من أفكاره فكاكاً، ولا من حديثه ارتواء
هو الساقي في أمة العطشى
وهو البارقُ في سماءٍ تنتظرُ الهطول زمنا
وهو الزارعُ والحاصد والمجنون والعاقل معا
لا يكفُّ هو عن الخبيز
فهو صانع فصل المقال كعكةً لذيذة
وهو ناسج الرداء ممهوراً بالقيم العتيقة
وهو الراغب واللاعب والناشبُ والفارس الأصيل
صاحب المرساة والمنارة والطقس والنهر العجيب
ينظرُ اليكم فيرى ما لا ترون، ويجعل لكلماته ثِقلا
يغرِفُ من نهره الكبير سعادته وظُلَل العبارات
هاني أحب حيفا وحملته في قلبها

وكاشفته رام الله فترك فيها قصيدة لم تكتمل
وفي كل بقعة تنفسها نزفَ قليلا من فكره
رفضَ لبس الغلالة السوداء ومزّق ورقة النعي
وسارَ على درب القسّام عبادة دون عمامة
وجاور النارَ والختيار والنرجس وسود العيون
كان سُؤلُه الحقيقة وسعيُه الوحدة، ويشرق بالوطن
وعرّج على الميدان والساحات وطعن الثعبان
خلته يهمس.. وكان صامتاً يتأمل
وظننته يهزج وصوتُه صريرُ القلم
وكاد يتحشرج أم ظننته كذلك؟
فهاني تنامُ على صدره الكلمات
ولا تغلق دونه ملاعبها الأوراق ....لأنه خميرة الكلام

هناك

هناك
حيثُ يترجرج الصدى
وينكسرُ الموج
وترتاح الحنايا
ويركب القلب بغيته
ويتجسدُّ الحلم
وتتكوّرُ النهايات
وترتكز الأسارير
هناك
حيث يبني الراعي رجْمَه

ويثير الناجي أشواقه
ويقطعُ السائرُ المفازة
وينطلق مع الأنوار
والغبار والشرارات والسديم
هناك
كنا نلعب بسهولة
ونأكل طعام الغيمات
ونعُدُّ خطوات النمل
ونقتدي
وهناك
حيث سعيتُ وحيدا
وشممتُ حقيقةَ الارتقاء
وأغلقت الثغرات
وأقمتُ على كتف الطريق علامة
هناك

كانت العلامات ممحيّة
والإشارات غامضة
والحقيقة لمن يطلبها
وكنت أنت وحيدة
تركلين ماضٍ متجعّد
وتفردين رداءك للخيول
علّها تنام وادعة
وكنتِ تشعلين العلامات
وترجمين الحُلْكة
وتصنعين النهايات
وتوزعين الأحلام
بعدالة

هي حبيبتي وكفى

في رقّة الطير الجميل
وجريان النهر الأسيل
وعتمةِ الليل الطويل والندى
في وداعة القط الخفيف
ومشاكسة القلب الضعيف
وعذوبة الماء الشفيف، والهوى
في لحظ عينيها المثير
وخفق صدرها الجمير
وارتعاشة أناملها والعبير، والنوى
جلست تناجي الدرب النازف

وتحاورُ الغيمَ الغارف
وترسمَ البحرَ الجارف والرّدى
قامت تتخطى الصفوف
وتُدقُّ لمشيتها الدفوف
تطرب لمرآها الطيور والكفوف
وتذوب فيها الأنفس والمدى
هي حبيبتي وكفى

وجلست أشربكم بروية

شهدتُ مولدكم عند عتبات النور
فهل رأيتموني وأنا فيكم أتغنّى
أم تركتموني أصارعُ النجمات
وقليلا من الأحزان الصارخة.
أحببتكم طويلا وجلست أشربكم برويّة
حيث الأزاهير تهمُّ بالانطلاق
وفيكم القبول مع الاختلاف قاعدة نتعلمها
والرضا رغم الضيق بقاء للأول وانتهاء للثاني
وحيث القناعة والود سمةٌ لا تزول
و اقتران القول القليل بالعمل الكثير لذّة
وحيث البناء لا تهزه عواصف هنا أو هناك

و الرغبةُ في رِفعة الآخر وتقدّمه مستعجلة
و ما يتخلل الأشجار يفرح الجوارح
و الأشواق تطل من البعيد نسماتٌ تبرد القلب
وحيث لا يستطيع أحد أن يهزّ أو يهدد استقرار
النوايا
وحقيقة انتعاش الصدور بالحب الألهي
وحيث الأمنيات مشاعل والأحلام منارات
والعمل بهما ولتحقيقهما رشفُ زلال وعبادة
دعوني أسجل في كتاب الشمس أسماء لا
تنمحي
حيث مالك عن السراط لا يميل وماهر يتكلل
ودعوني أسجلُّ مواقفا لا تنسى ونتفاً من
السعادة غامرة
دعوني أختزن صفحات وجوهكم مع الإشراقات
الكثيرة
واتركوني أصطحب طفولة قلوبكم معي إلى
المسعى

حيث أذوب في حب الإصباحات والمساءات
القليلة الهادئة
واتركوني "أملك" "بمهارة" محبة الهبوب
وسقاية الحجيج
فحين تهبّ رياحكم أسمو ، وحين أنكمش أحجُّ
اليكم
تركتكم تضحكون مع الفراشات وتغريد الأرض
وتطلّون من محاجر العيون نظرات لا تهدأ
وتركبون سماء العشق طلاوة
وتكتبون في سفر المستقبل بدايات لم تنتهي
وفي حريق الصدور محبةً لا تنقضي
وحيث تقيم الغيمات تحفرون سقايات باردة
ومع هجير الصحراء ترسمون ألواناً عائمة
دعوني أفتح الصفحة تلو الصفحة
من كتاب عمري معكم
فلا أرى إلا أجنحة ترفرف وقلباً واحداً خافقا

وحشرتكم شهداء

هل تعتقدون أنها جاءت إليكم
أم تظنون أنها بكم مفتونة
أم تظنون بأنفسكم جرأة النظر لكتفيها
ولربما تنسبون النصر والبطولة والفوز لكم
في جميع الحالات... أنتم واهمون
من صلب الفضاء المتمرد جاءت
ومن رغاء الانتصار الصامت انسّلت
ومن ساحات الحب الدافئ أسفرت
وإن اختارتكم هي ، فلعلها توسّمت
توسمت فيكم النباهةَ والمجاهدة والصبر

فألقت عليكم شيئاً من وهج جبينها
وقليلٍ من رذاذ العطر خلفَ أذنيها
وقدرٍ محسوبٍ من خاصية الخشوع
وإذ زرعت فيكم الحق والإيمان
واجهتم المرارةَ والدموع ، وكثيراً من الأحزان
فلسطين
لقد مسحت صدورَكم بالشجاعة والثورة
وأضاءت مشكاة النور في قلوبكم ، والإقدام
وأسقتكم اللبن والسمن والعسل ، والدم
فغسلتم ذنوبكم والكبائر... في طهورها
وزيّنتم جبين الأمة بجمال عذريتها
وطاولتم السماء، وحُجِبتم بفضلها عن النار
فاحتسبكم المتجلّي أحياء بفضلها
وحشركم مع الأنبياء والصديقين، شهداء

المؤلف: بكر محمود علي أبوبكر

مواليد فلسطين 1960

بكالوريوس هندسة مدنية، ماجستير علوم سياسية

كاتب وأديب

له من النتاج الأدبي:

1. لم لا -مجموعة قصصية ،بيت الشعر،رام الله 2000
2. في الزمن الواقع بإمكانكم أن تطيروا -مجموعة قصصية، دار الشروق،عمان، 2003
3. برق مقيم (نصوص) اتحاد الكتاب الفلسطينيين-القدس ، 2004.

4. ثلاثة شروط بسيطة (قصص)، اتحاد كتاب تونس، 2007، وط2 في 2010.
5. ليس للفقير أن يحلم (قصص)، بيروت 2010.
6. صدر السماء الحافية (نصوص)، رام الله، دار الأمين، 2012.

كتب سياسية وفكرية:

1. مفاهيم لا بد منها، عناة للنشر، رام الله 1997.
2. مباديء المسؤولية التنظيمية، عناة للنشر، رام الله 1998.
3. كيف تقيم معسكرا؟، التوجيه السياسي، رام الله 1997.
4. حركة فتح والتنظيم الذي نريد، عناة للنشر، رام الله 2003.
5. وجوه القيادة،المركز الفلسطيني للدراسات، رام

الله 2005.

6. القيادة والعمل بروح الفريق، التوجيــه السياسي، رام الله 2004

7. تحقيق الفوز في قيادة الحملة الانتخابية، اتحاد الطلاب، المعهد الوطني لتدريب الكوادر، رام الله 1999 والطبعة 2كانون ثاني 2012

8. التدريب الإداري و التنظيمي، لجنة إعداد الكادر، رام الله 2005، وط2 في 2011 ، وط3 في 2012

9. حركة حماس سيوف ومنابر-دار عناة، 2008. وط2 في 2012.

نصوص

بكر أبو بكر

بيدي أن أصير دَبَّابة

وعند اخضرار اللوز
ومع صرير أهداب مقلتيَ
وصعود النهار في حلقي
وارتفاع موج البحر في ردائي
ومع جريان الغزلان المرتوي
وعبور ماء النهر فراشة
مالت وصاحت وعبثت
والى قلبي هفت

......

هي الأولى بلا نهاية
وهي الولَه على النجوى
وهي الوداد في عيد وليد
كتبت على قميصي عنوانا
وطارت بين العبرات منتشية
فلم أصمد وسقطت راكعاً
إلاك لاعشق ولا زهرَ

دار الأمين
2013